

# الكتاب

## كتاب باب القمر

تأليف الأستاذ ابراهيم رمزي

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد

هما الشخصان اللذان قد حيك حولهما حوادث القصة على ما ألف الناس في القصص من دوافع المواقف الشريفة وخوارج النفوس المضطربة ؛ على أنني لا أملاك إلا أن أعقب على هذا القول لأحدد منه . فان هذا الكتاب ليس على ما يفهم من القصة المحض ، فان المؤلف قد جعل الى سدهاء القصصى لحمة من التاريخ المصق الذي لا يخطئ القارىء إذا اعتمد عليه ووثق من حقائقه ، فهو يصور حال بلاد العرب في أول أيام البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فابتدأ في نجران وصور ما كانت عليه حال تلك المدينة القديمة ومكان الأسقف المسيحي منها ؛ ثم هبط اليمن مع قوافل التجار التي تيمم الشمال في رحلاتها المنتظمة حتى بلغ معها بلاد الحجاز فصور مكان النبي عليه الصلاة والسلام في أوائل سنى البعثة وصور صحابته تصويراً لا أظن ريشة المصور تبديع خيراً منه ، كما صور أعداءه وشتى وسائل عداوتهم له الى حصارهم إياه في الشعب على ما هو معروف في كتب السيرة ؛ وعبّر بعد ذلك الى الشام فمرض صورة لدولة الروم وهي تناضل الفرس

ماذا أسميه ؟ أسميه قصة ؟ إننى إن فلتت فان أعدو الحقيقة إذ هو في الواقع قصة فيها ما في القصص عادة من مداخل الخيال وطلاوته . فقها لمياء ابنة الحارث بن كلدة ، تلك الصورة الحية الناطقة التي لا يسع قارىء القصة إلا أن يتمثلها ويمس ما تحسه من أشجان . فتاة عربية رومية تجمع ثقافة الاغريق وسفاه نفس العرب ، وتمثل فيها فضائل المدينة وفضائل البداوة جنباً الى جنب . وفيها ورقة ابن العفيف ، ذلك الفتى العربي النبيل الذي يتقلب في بلاد العرب وفيها حولها حتى ينتهى به التجوال الى الاسكندرية فيصبح فيها أمين الحاكم وكبير حراسه . وهذان

المصرية بالقاهرة تفسر هذا الاسم بأنه لأحد آلهة الاغريق القدماء يدعى Zoroaster ؛ ولست أدري المصدر الذي استقى منه محرر مقدمة هذه الطبعة . على أن هذا الرأي كغفل بأن يسترعى منا كل عناية واعتبار ، لأنه من العلوم أن نيتشه كان متصلاً في الثقافة الاغريقية ؛ ثم إنه يدن للاغريق بكثير من إنتاجه وفلسفته ؛ وتأثره بالآلهة الاغريقية عميق ولاسيما الآلهة ديونيزوس Dionysus وآله الخمر ، وقد أسهب في هذه النقطة البروفسور ليشتنبرجر Leachetenberger في كتابه عن نيتشه السمي « إيجيل المورمان » The Gospel of Superman

فلا نستبعد أن يكون نيتشه قد نسب بطال كتابه الى هذا الآلهة الاغريق القديم اعترافاً منه بفضل الثقافة الاغريقية وتمجيداً لها . وهذا موضوع من القادة يمكن لوتبارث فيه عقول المحققين لتجولو غامضه وتظهر حقيقته ؛ وإنه خليق بعجلة البحث والفكر « الرسالة » الفراء . ( المنصورة ) محمد فهدى

نهماك يشابه طريقة الفيلسوف الألماني ، وهو إن خالفه في الروح والمبادئ . فانه يشابهه في الأسلوب وطريقة الأداء التي يتميز بها كتاب « زارا تيرا » ، وقد تبوأ هذا الكتاب مكانه في التفكير الغربي كأجمل جديد يبشر بمذهب جديد في الحياة وغايتها على الأرض ، مذهب هو أقرب الى الدعوات الدينية منه الى المذاهب الفكرية الفلسفية

وقد دعاني الى كتابة هذه الكلمة ما رأيته من خلاف في نسبة « زارا » . على أن كل المصادر مجمعة على نسبه الى Zoroaster ، ولكن الخلاف هو في تفسير Zoroastre هذا ؛ فالستر Rhys في مقدمة الترجمة الانجليزية طبعة ( Everyman's Libray ) يشير الى أنه زرادشت صاحب الديانة الفارسية القديمة ، وهكذا أيضاً تفسره دائرة المعارف الفرنسية « La Grande » ، وأما دائرة المعارف البريطانية فلم أجد لها ما يفسره على أنه توجد طبعة لترجمة إنجليزية أخرى يدار الكتاب

للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين و (محمد) للأديب الكبير  
توفيق الحكيم و «باب القمر» للأديب الكبير إبراهيم رمزي  
ثلاثة أعلام يجدر بالمعاصر الحديث أن يفاخر بها  
ولقد حاولت في قراءتي لهذه القصة التاريخية أن أجد ما أخذاً  
أدخله إلى مقالتي حتى لا يكون كله صورة من الأعجاب الذي ملك  
على نفسي فلم أظفر من ذلك إلا برأى أظنه جديراً بأن يمرض،  
وهو أن الاستطراد الكثير في سياق القصة كان كثيراً ما يضيع  
شيئاً من تماسكها

وأمر آخر لمحت في بعض المواضع وهو أن بعض القول كان على  
غير ما عليه الطبع . ومن ذلك أن سيدة كانت في موقف حزن  
عميق إذ فقدت زوجها وولدها « غنقتها المبرات وتجدرت  
الدموع على خديها متداركة كقطرات السماء الماخزل ، ولم يستطع  
ورقة (الذي كان في موقف الصديق) أن يحبس دمه لدن هذا  
النظر المؤلم فبكي لبكائها ثم تمناك نفسه يقول : هوني عليك  
يا سيدتي . لا تضعف نفسك بهذا الوجد ، أنت شابة وسرية كما  
أرى ، وستشرق عليك شمس حياة طيبة جديدة يوم تعودين إلى  
الأسكندرية ، وسيكون لك أولاد وزوج يحمينك . إن الله واسع  
الرحمة . ما أرجو منك إلا أن ترضى أمور الدنيا أمامك كما ترضى  
الكتاب ، وتقرن فتجدين في هذا الكتاب مخطوطاً بقلم عربي  
كبير : لا تنظري إلى الوراء : أنظري إلى الأمام . إذا ورد عليك  
فكر مؤلم فريه بيدك وسيري إلى الامام لتباني ما تمدد الدنيا  
لشبابك وجمالك من النعمة والنعمة التي تنسين بها كل ما مضى  
الحج . » وإنني لأظن أن هذا القول ما كان يلائم أن يقال في مثل  
هذا الموقف ولا سيما من قائله (ورقة) . على أنني أرى مع ذلك أن  
مثل هذا النقد ناشئ من اختلاف في النظر والتفكير ، وما ينبغي  
أن يتفق الناس في مثل هذه الأمور كل الاتفاق

وأما لغة الكتاب فلها اللمعة الجديرة بكتاب مجيد كإبراهيم  
رمزي جمع إلى لباقة الفنان مثانة الأديب  
فروحاً بذلك الفتح الجديد في الأدب العربي . وما أحرانا أن  
نهنئ الأديب الكبير بنجاحه الباهر في قصته ، وأن نستعجزه  
الوعد الذي وعده في آخرها أن يتحفنا بباب الشمس بعد أن  
أمتعنا بباب القمر .

جاءنا من صديقتنا الدكتور عبدالوهاب مزيم قد كتب لنا كتاب (معجم الأدباء)  
في طبعته الجديدة ، ومن الأستاذ الشيخ أحمد يوسف نجار الأستاذ جدار العلوم  
رد على عدد كتبه (فتح الطيب) بأرجانها مضطربين إلى العدد القادم

ذلك النضال الهائل الذي غلبت فيه في أدنى الأرض ، وعرض بعدها  
صورة ثانية لمصر والاسكندرية وبين ما كان فيها من اضطراب  
وأحزاب إلى أن دخلها جيوش فارس بتدبير بعض الخوذة مثل  
بطرس البحريني المنافق

فصور القصة قد تدخلت فيها صور التاريخ تدخلًا مجيئاً كان  
من أثره أن جلبت للمصر صفحة واضحة بكاد قارئها يحس أنه  
يحيا بين أهله ويتنفس في جوفهم

ولست بمستطيع في هذه الكلمة الموجزة أن أذكر كل  
من جلام ذلك الكتاب القيم من شخصيات التاريخ ، فانك  
لا تكاد تجد اسماً من الأسماء المعروفة في هذه الفترة لم يبرز في  
ناحية منه ويصور له صورة حية ؛ ولكن شخصيتين من هذه  
الشخصيات كانتا مثلاً عالياً في التصوير الأدبي ؛ ولعل المؤلف  
الناهب قد قصد منهما أن يكونا رمزاً للحزبين المتناضلين : حزب  
الرسول وحزب قريش ، ألا وهما حمزة بن عبدالمطلب ورضي الحسين ،  
والنضر بن الحارث الطيب ورضي المكذبين من قريش . وأما  
أشخاص غير العرب فقد أبدع في تصوير بعضهم إبداعاً عظيماً ،  
ومن هؤلاء بطرس البحريني الذي قيل إنه كان آلة الفرس في  
فتح الاسكندرية بالخدمة والحياة

وإذا كان المؤلف الفاضل قد جمع بين القصة والتاريخ هذا  
الجمع فإنه لم يقع في خطأ وقع فيه كثير من القاصيين ، وذلك هو  
الخلط بين الخيال والحقيقة وما يترتب على ذلك من تشويه لكليهما ،  
فإنه حرص على أن تكون وقائع التاريخ كلها صحيحة ، وبالغ في ذلك  
فجمل في هامش القصة ذكر بعض المراجع وبعض فقرات الايضاح ،  
واحاط عند ذكر ما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام ، فما وقع  
منه فلا نسبه إليه كما جاء في كتب الديرة ، وأما ما كان فيه مدخل  
للخيال فقد قال فيه : « وإخاله قد فعل » . فهذا الكتاب حلقة  
مجيدة من سلسلة مجيدة ظهرت في الأيام الأخيرة لبعض أعلام  
الأدب الحديث

وإننا إذا رأينا هذه النهضة المحمودة في إيراد حوادث التاريخ  
على هذا الأسلوب كان علينا أن نتبجح ونتعجب وأنت نشكر  
هؤلاء الأدباء الأعلام الذين يمدون لجمهور القراء مثل هذا الغذاء  
العقلي السليم . ولا أظن أن في استطاعة أحد أن يكافئ هؤلاء  
الأفاضل على ذلك المجهود الكبير ، اللهم إلا أن يكون رضى وم من  
لأنفسهم وشعورهم بأنهم قد أدوا للناس خدمة أديبة تفيد لنتهم  
الشريفة وتعمل على إغلاء نهضتهم المباركة . « فعل هامش السيرة »